"المـــــلك"

للشاعر محمود حسن اسماعيل

في مهرجان الوطن بذكرى نجاة "الفاروق" من حادث القصاصين (*)

حَلا الغِنـاءُ ، فهاتوا خمرَه ، هاتوا ... إنا نشاوَى ، وهذا الشعر كاساتُ

لا تعـذلونا إذا لاحت جوانحنـا ... كأنهـا لأغانى الحب حانات

كنا نحـوم بليـــلٍ ليس فى يدِهِ ... لِحائرِ الطـيرِ أعشاش وأيكات

فـــلا الغِناءُ غِناء فى حناجِرنا ... ولا بأوتـارِنا تهـــتز آهـات

كنا تماثيل تغريدٍ أحاط بِنـا ... نحات صمتٍ له بالشـــدو ثارات

نأسى ، وتأسى الأغانى فى مزاهِرِنا ... وللغِنـاء كما لِلنـاس ويلات !

* * *

مَنْ ذلك الفـارس البيضاءُ جبهته ... كأن أنوارَها للنصر آيـات ؟

أوما إلى أدمع الأيام فاهتلكت ... وفُتّلتْ فى مآقيهـا الشـــكايات

ومرَّ بالليل . . . والظلماء عاكِرة ... ففُجِّرت منـــه أضواءٌ وهالات

وجاس فى الكوخ أرضا غرس تربتِها ... جوع، وشكوى، وأسقام، وعِلات

يمشّى العـــراة بهـا فانين تبصرهم ... وفيهمُ من بنى الدنيـا علامات ؟

مهلهلين على أبدانهـــم مِزَقٌ ... كأنهـا لِصراخ البـــؤس رايات

(*) ألقيت فى الاحتفال الذى أقيم بدار الأوبرا الملكية مساء يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٤ وأذاعته محطة الإذاعة الملكية .

خفُّوا إليـــه جِراحا غاب عائدها ... وطِبُّها ، وتجافتْها الرعايات

ورفرفوا كطيورٍ جاءها خـــبر ... أن الربيع له فى الروض خطْوات

طـاروا له رغم بلواهم وحرقَتِهـــم ... كما تطير إلى الحـــقّ الظُّلامات

كانوا "بأسوان" نِسيانا تقلبه ... فتـاكةٌ بين جنبيـــه المجـاعات

خاض المنـايا لِيُحيي شعبه بطـل ... لولاه راح الردى بالنـاس يقْنات

من ذلك القـــدر السارى تظلله ... أنَّى مشى مِن يدِ الله العِنـايات؟

مفـاجِئٌ تكـــتم البشرى سريرته ... كآيةِ الســـحرِ تُعليهـا الفُجاءات

"فاروق" بِكر الحيارى ، أينما نزلتْ ... خطاه، فالأرض أعراس وجنات!

"فاروق" والنيل يهواه، فلو نطقت ... أمواجه هتفت منهـا الصبابات!

"فاروق" والطير تهواه ، فلو سئلت ... ترنَّمت بأغانيهـا الجميـــلات!

"فاروق" والشرق يهواه، فكل فمٍ ... يدعو ، وكل يدٍ منهـا ضراعات!

"فاروق" قِبلة "مِصرٍ"، أينما خطرت ... أحلامه ، خلفها تجرى السياسات

اذا دجَتْ فى طريقِ الدهرِ نظرتها ... راحت تُضيءُ بِكفَّيهِ المنارات!

وإن تشعَّب فيها الرأى واختلفت ... ذابت على يدِهِ منهـا الخِلافات!

وإن بغَى ظالِم فيها ، فصولجه ... فى البأْس تعرف ماضيه البريَّات

* * *

مولاى واليومَ ذِكرى لحظةٍ شهِدت ... بمـا لِحبك تطويهِ الحُشاشات !

هفتْ إليك قلوب الشعبِ واندفعت ... إلى ركابِك أرواح ومهجات

وجاءكَ النيل يسعَى بينهم دنِفا ... يغلى بأشواقِهِ موجٌ وضفّات

والدوح كادت لِفرطِ الوجدِ أغصنه ... تُمد منهـا إلى الرحمن راحات

والناس أمواج بحر تحت عاصفةٍ ... رياحها من جنون الأفق مُزجاة

طاروا لنورِك دعّاءين تسمعهم ... وتستجيب لهم فِيك السموات

وأنتَ فى جِيرةِ الصحراء تنفحها ... نورا ، تضيء بِمسراه المفازات

خيَّمت فى شطها فجرا تضاء بِه ... لِلسالِكين على البيد المتاهات

غنى بطلعتك الحـادى ، تجـاوبه ... صبائِحٌ جاوبتهنَّ العشيّات

ورددتكَ مزاميرا قوافلهـا ... كأنمـا انت "موسى" وهى توراة!!

وموكِب الريِح ، ماذا فى أنامِلِه ... معطّراتٌ ، شجيّات ، مضيئات

زارتكَ طوّافة ، فانظر ضراعتها ... واسمع. فِمن فمِها تجرى التّمِيمات

راحت تنُض على الصحراء ما حملتْ ... فكاد ينسخها رِىٌّ وإنبات

هذا جلالك يا "فاروق"! كل ثرى ... تمشى عليه ، مشت فِيه القداسات

نُبوةٌ بمعـانى الخير ، راح بهـا ... وادِيك تفعم شطيْه المروءات !

فى كل بابٍ من الاصلاحِ تَطرقه ... يا ما شجتنا ، وهزتنا الروايات !

رأى جديد ، وتَجـديدٌ ، وَمَوْهِبَةٌ ... بِنورِها سطعتْ منكَ الهدايات .

ماذا فعلتَ بوادى النيلِ؟ كان كرًى وكنتَ بعثا . . وللأيامِ حالات
نفحته عزمةٌ ، بأس الحديد لها مسكين قلبٍ له جُرحٌ وأنات

ورحتَ توقظ روحَ الشرقِ فى زمنٍ صحوُ الشعوبِ لأهليه ديانات
على يديك التقَت آماله ، ولها من أنجم الليل أحباب وجارات!
مولاى ! ما مرَّ ليل أو دجا أفق إلا وتاجك للأوطان مشكاة
ذكرى نجاتك عيد خالد ، سطعتْ فيه لحبك فى الدنيا شهادات
(قباب عبدين) صارت كعبة وغدت مَزارَ حب له تحلو المناجاة
الناس فى ساحها كالطيرِ ظامئةً وأنتَ نبع ، وشطآنٌ ظليلات
وقفتُ أهتف لا شعرا ، ولا نغما لكن هوًى غرّدت فيه الخيالات
ومهجةٌ من سنا (الفاروق) قد شربت فرنّحتها من التغريد هزّات
"مَن ذاك الفارس البيضاء جبهته" كأن أنوارها للنصر آيات ! ،
"فاروق" والله للأوطان أرسله فجرا تفيض بكفّيه السعادات !

محمود حسن اسماعيل